Journal of Education for Humanities

A peer-reviewed quarterly scientific journal issued by College of Education for Humanities / University of Mosul

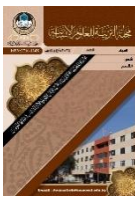

The Anxiety of Old Age in Classical Arabic Poetry

Arif Abdullah Mahmoud Al-Ahbabi [1] **Shaimaa Abdulrahim Saleh** [2]
Directorate General of Education in Salah al-Din–Morning Institute of Fine Arts / Iraq [1]
Directorate General of Education in Salah al-Din / Iraq [2]

Article information

Accepted: 4/2/2025
Published 31/7/2025

Keywords
Anxiety , Old Age , complaints, Loss,Classical Arabic Poetry.

Correspondence:
Arif Abdullah Mahmoud
Arifmah6262@gmail.com

Abstract

Through our review of the poetic texts on the topic of "The Anxiety of Old Age in Classical Arabic Poetry," it became clear to us that the circumstances surrounding the elderly poets led to psychological anxiety and inner conflict, with old age being its source. This was marked by weakness, frailty, complaints, and a sense of loss due to changes in the body and the color of their hair. There was no longer vitality in their appearance, no sweetness in their physique, nor peace in their minds. Their spirits were broken, and their will was shattered, in addition to their diminishing presence due to a lack of appreciation and the loss of interaction with those they had once been connected to. This drove them to express their internal suffering in an impactful language, attempting to grasp their lost rewards due to the manipulation of fate and the changes brought by time. It is a call to reconsider those who ignored this complaint, delayed offering assistance, or became devoid of humanity. Thus, their poetic messages carried the full implications of reminding others of past moments and activities from a time when they enjoyed the bloom of youth, vitality, and their prowess in repelling adversaries, alongside their ability to continue life without relying on others.

In this manner, ancient poets sang through their eloquent words and impactful expressions, lamenting the past era in which balances had shifted—weakness following strength, disappointment following dignity, and humiliation following respect. They recalled their humane actions with compassion and mercy, not in a plea for help, but as a reaction to what they had offered to their children and grandchildren.

DOI: *********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

قلق الشيخوخة في الشعر العربي القديم

عارف عبدالله محمود الاحبابي [١] **شيماء عبدالرحيم صالح** [٢]

المديرية العامة لتربية صلاح الدين – معهد الفنون الجميلة الصباحي في بلد / العراق [١]

المديرية العامة لتربية صلاح الدين / العراق [٢]

معلومات الارشفة

تاريخ القبول : ٢٠٢٥/٢/٤

تاريخ النشر : ٢٠٢٥/٧/٣١

الكلمات المفتاحية :

القلق , الشيخوخة ,الضياع ,الشكوى ,الشعر العربي القديم

معلومات الاتصال

عارف عبدالله محمود الاحبابي

Arifmah6262@gmail.com

الملخص

ومن خلال مراجعتنا للنصوص الشعرية حول موضوع "قلق الشيخوخة في الشـــعر العربي القديم"، اتضـــح لنا أن الظروف التي أحاطت بالشـــعراء المسنين أدت إلى قلق وصراع نفسي مع الذات، وكان مصدره الشيخوخة، حيث كان هناك عجز وضعف وشكوى وشعور بالضياع بسبب تغير شكل الجسم ولون الشعر. فلا نضارة في الشكل ولا حلاوة في البنية ولا راحة في العقل، فقد تحطمت نفوسـهم وتحطمت إرادتهم، فضـلًا عن غياب حضـورهم بسـبب قلة التقدير وفقدان التفاعل مع من ارتبطوا بهم، مما دفعهم إلى التعبير عما بداخلهم من مأساة بلغة مؤثرة في محاولة للقبض على غنائمهم التي ضاعت بســـبب تلاعب القدر ومتغيرات الزمن. وهي دعوة لإعادة النظر فيمن تجاهل هذه الشكوى وتباطأ في إظهار المساعدة أو تجرد من إنسانيته. ولذلك جاءت رسائلهم الشعرية تحمل كل دلالات التذكير بالمواقف والأنشطة السابقة التي كانت في ذلك الوقت حيث كانوا يتمتعون بزهرة الشباب ونشاطه وفروسيتهم في ردع الخصم، بالإضافة إلى مواصلة الحياة دون الاعتماد على الآخرين. هكذا غرد الشعراء القدامى بفنونهم في الكلام وتعبيرهم المؤثر، يشكون من عصرهم الماضي الذي انقلبت فيه الموازين، ضعفًا بعد قوة، وخيبة بعد هيبة، وذلًا بعد تقدير، ويذكرون مواقفهم الإنســـانية على ســـبيل العطف والرحمة، وليس على سبيل الاستجداء، كرد فعل على ما قدموه لأبنائهم وأحفادهم.

DOI: *********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

مشكلة البحث:

عندما تتعرض شريحة لا بأس بها من أفراد المجتمع الى ظروفٍ شتى تؤدي بهم إلى الإحباط واليأس والانهيار النفسي ولا سيما في المرحلة الاخيرة من العمر حيث الشيب والهرم والشيخوخة وقرب المنيّة؛ ولأسباب عدّة، هو عدم التعاون مع هذه الشريحة من المجتمع، وفي مختلف الجوانب الإجتماعيّة والفكرية والاقتصادية والنفسية ولا سيما إذا كانت المعاملة مع هذه الفئة العمرية دون المستوى المطلوب أو عدم الحظوة بالاهتمام والتقدير فضلاً عن سوء التعامل مَعَهُمْ أو إحساسهم بأن أعمارهم أكل الدهر عليها وشرب، ومن المؤكد أن هذا الاهمال لهذهِ الشريحة من المجتمع يعني إبطال لمفعول طاقاتهم وإن كانوا في خريف العمر وعلى الرغم من ذلك لا بُدَّ من دراسة هذه الاسباب للحظوة بحلول لفك أزماتهم، وإعادة الثقة لهم، والذين من الممكن الاستفادة من مخزون تجاربهم وخبراتهم المتراكمة على مرور الزمن وتعدد السنين بدلاً مِن أن يكونوا عالةً على المجتمع لا بل أن يكونوا فاعلين، بعد دراسة أسباب عزلتهم وقلقهم ثم إعادتهم إلى الإبداع والإنتاج مرة ثانيّة، ومن جراءِ ذلك سوف يتم التخفيف لحالة اليأس والإنكسار التي يعيشونها ومعاناتهم الخاصة؛ وذلك من جراء تطوير قدراتهم بشكل يجعلهم قادرين على التفاعل مع المجتمع على الرغم مما يمرون به من ضعف ووهن وقصور في الأداء فضلاً عن البحث في موضوعهم على أن تكون الدراسة سبباً في معالجة مشكلاتهم، وإعادة الثقة بأنفسهم، وعلى أثر هذا التفكير القائم على مصداقية حسن التفاعل مع هذه الشريحة، وتلبية رغباتهم .

هدف الدراسة:

إنَّ الهدف المناط بهذه الدراسة هو البحث عن وسائل وسبل تجعل من المسنين نفوساً تستوعب ما يمرون به من أزمات وقلق نفسي على أثر تمادي الظروف، وقسوة الزمن جعلهم يبحثون عن منافذ يَسْهَلُ من خلالها الوصول الى حل لمشكلاتهم، سعياً لتجاوز معتركهم الحياتي المُثقَل بالأزمات، وهي من محاولات جادة لفك هذا الطوق المتأزم بالقلق، وعدم الارتياح النفسي، ومن المؤكد أن تسخر نتائجها بالإيجاب من حيث زرع الثقة بالنفس جراء خوض غمار السعي للتغيير نحو حال افضل من السابق بحكم التكيف مع الظروف، وعدم الاستسلام واليأس مهما كانت الظروف عميّة لا يعرفون فيها ماذا سيحصل لهم ؟ وهي خطوات جبارة تلوح بالأفق نحو هدفٍ سامٍ هو ترميم أزماتهم من خلال الاصرار والرهان على التغيير عل الرغم مما احاطت بهم من ظروف قسرية قاهرة .

لذا فهناك أسئلة تطرح نفسها الاجابة عليها تمثل الكشف عن حقيقة الموضوع وأبعاده، وما هي الاثار المترتبة على ذلك .

قلق الشيخوخة في الشعر العربي القديم

إنَّ سُنّة الحياة بنيتْ على نظام متدرج في تركيبة بناء الفرد في مختلف النواحي الجسميّة والعقليّة والفكرية منذُ ظهوره على سطح الارض بولادة كبداية عمر، وبوفاة لنهاية العمر، هكذا تسري الحياة، وتجري معطياتُها على وفقِ الفئات العمرية، ومراحل البدء والتكوين، طفولته، ومراهقته، وصباه وشبابه، منتهياً بمرحلة حياتيّة تفتقر لمتطلباتِ المراحل السابقة، من قوة وتسلط، وهمم عاليّة تتوقدُ بنور التفاؤل والأمل، والاحساس بالمستقبل فمن الطبيعي نهاية العمر هو حديث في غير ذلك .

هكذا تجري الحياة من دون استئذان شئناً أم أبينا، وشتان ما بين هاتين المرحلتين (الشباب والشيخوخة)، ولكلِّ مرحلةٍ ظروفها الخاصة أمر يتعلق بالقدرات والإمكانات، وطبيعة التفكير، وبعد النظر، والقوة والضعف، والأزمة والصراع، والحالات النفسيّة الاخرى التي تتعلق بما تحيط به من ظروف أخرى، وهو يكافح ويتصدى لمثل هذا المعترك الحياتي بوصفه إختيار رباني؛ للكشفِ عن حقيقة إيمان العربي بهذا الوجود، والمبني على ضرورة التأقلم مع هذهِ الظروف والتفاعل مع مقتضياتها بروح تتجسد بالثبات على الموقف وتجاوز المحنة بإرادة تتوسم بالعزيمة والصبر، طامحة الى مواكبة الحياة على وفق ما يرتضيه الربّ، ويهواه المخلوق، وذلك بتطبيع الإدارة على وفق مقتضيات الحال والممكن .

وإن لمثل هذا الامر لابدَّ أن يخلو من النقاش والجدل؛ لكونه ليس في محط الشك والظن، فالمرحلة الاخيرة من العمر، هي المرحلة التي تبدأ بالعدّ التنازلي من فقدان لذاكرة، ونسيان في فكر، وغموض في ذهن، ووهن في عظم، وتغير في شكل جسد، فضلاً عن غياب السمع والبصر، ونقوص في شهوة وإشباع في رغبة، وطلاق لكلِّ مغريات الدنيا، وتبدأ هذه المعاناة منذُ ظهور الشيب؛ لكونه نذير الموت، وإبلاغ بقدوم الشيخوخة والكُبُر، والترجل الى نهاية مطاف العمر، والعزلة القسريّة في غربة لا تطاق لما يحمله من شعور لا إرادي يهدد كيانه ووجوده ولا سيما اذا كان الوجود غير مفعل وعالمٌ قد فقد منه كل شيء، بل ينتظر فيه ساعة الرحيل الابدي الموت المنتظر، وهو أسير الدار تحت رحمة العابد والمعبود لأنه وقع في خيار الرَجْوَة والاستعطاف، وطلب الرحمة بصيغة الالتماس، فليس له إلا هذا الخيار .

والشعراء المعمرون هم خير من تَوَّجوا هذه المعاناة بقصائدهم الوجدانية وبفيض مشاعرهم، وهم يغردون بعين العطف لمن وقع في شباك العزلة على أثر الشيخوخة والكُبُر، وهم يواصلون ركب الحياة في واقع بائس وفي الوقت نفسه هم بأمس الحاجة إلى مَنْ يسمع آراءهم، ويجامل شخوصهم، ويحترم طروحاتهم، فلم يكن بين أيديهم غير سلاح القول المنمق بالشفافية والمرونة، والمقرون بالغضب والانفعال في أحايين اخرى إذا لم تحصل لهم الاستجابة من الطرف الاخر. هكذا تجري عجلة الحياة على عجل بلا تريث، وهي تمر مرّ السحاب مقرونة بالخير

والشر والامل والخيبة والفرح والحزن، ومن المؤكد أنَّ شكوى الشعراء المعمرين عارمة لما تنطوي عليهم الحياة من مآسي وعوامل اخرى، منها عزلتهم عن أهلهم وأحبابهم وذويهم (قبيلتهم وقومهم) ودرجات الشكوى في تصاعد، تبعاً لقسوة معاناتهم ولا سيما إذا كانت استجابة المقابل لم تخفف آلامهم وشكواهم بالمستوى المطلوب .

وتبدو بواكر العزلة عند المرء بعد ظهور الشيب؛ كونه علامة من علامات تقادم العمر، ونذير الموت، والشعور فيه يحمل سمة الاحساس بساعة الصفر للدخول في معترك الحياة بحياة جديدة عصيبة، مغايرة لما كانت عليه من حياة عُرِفَتْ بريعان الشباب وعنفوانه، وهو يغرد بلسان المتعة واللهو بكلِّ فرحٍ وسرور، وشتان ما بين الحياتين الاولى والثانية، وبمرور الزمن تتغير الاحوال من حالٍ الى حال إذْ تنقلب على عِقب، شيخوخة بعد شباب، وعجز بعد قوة، وتوتر بعد هدوء، ويأس بعد أمل . لذا يعيش حالة من التألم والتأزم مبعثها هو الحد من تحقيق الإمكانيات، وهو شعور ذاتي يحمل سمة الاصرار، والتصدي والمقاومة التي تعانيها من جانب الغير، وهذا هو المعنى الوجودي للتألم (بدوي، ١٩٤٥، ص ١٦٠)، ولا سيما إذا التمس الصدود والهجران من أقرب المقربين بعد وداد وصفوة، وحب مكتوم، علماً أنّه عفٌ صليبٌ، عزيز النفس، غير مذموم، ومن خيار القوم، فلم يكن للمرأة العذر أو الحجة إلاّ بروز الشيب، وانتشاره، والذي أشعل الرأس شيباً .

وقد جسدَ لنا الاسود بن يعقر هذه المعاناة التي لم تكن بالحسبان، دفعه هذه الشعور الى العزلة علماً أنَّ هذا الخيار لم يأتِ إعتباطاً وإنّما جاء كردّ فعلٍ لمثل هذا التعامل الذي يخلو من مقومات الإنسانية، وقيم الوفاء، ومراعاةٍ لمشاعر، وايمان لقدر، وأمر لاشك فيه ولا غبار عليه أنَّ العزّة والكرامة هي التي تدفع الى هذا الاختيار التعامل بالمثل ثأراً لكرامته كردّ إعتبار بهذه العزلة، إذ يقول: (ابن حمديس، د.ت، ص ٥٩-٦٠).

قد أصبح الحبلُ من أسماء مصروما بعد ائتلافٍ وحب كان مكتوما
واستبدلَتْ خلّة مني وقد عَلِمَتْ إن لن أبيتَ بوادي الخسفِ مذموما
لما رأت ان شيبَ المرءِ شامله بعد الشباب وكان الشيب مسؤوها
عفٌ صليبٌ اذا ما حُلبة أرمَتْ من خير موجوداً ومعدوما
صَدَّت وقالتْ : أرى شيباً تفرعَهُ إن الشبابَ الذي يعلو الجراثيما

وفي الابيات الشعرية اعلاه تبرز بصمة المعاناة عند الشاعر المسن حيث الألم والحسرة، بسبب العزلة وقطع وصال الهوى من خلال التوكيد بـ (قد) التحقيقية لكي يكشف حقيقة المراد من موقفها المجحف لكون الامر خارج عن إرادة الذات، وإدانة المقصر بعد إنصياعه للقدر فضلاً عن حجب التواصل الاجتماعي مع من أحب، هكذا أصبح الشاعر على بيّنة أن (أسماء) قد استهوت العزلة وقطع العلاقة؛ لأنها لا ترتضي إلّا بمن إكتظ شعره بالسواد محاوراً الذات بصوت خفي تارة، وصوت جهور تارة اخرى، مستعرضاً مشاعره بقلوب إزدحمتْ بهوى العزلة من خلال إستخدامه للفعلين الماضيين المتصلتين بتاء التأنيث الساكنة ؛ ليسكنْ سلوكها الخاطئ في صدر البيت

الرابع (صَدَّقت – وقالتْ) وذلك ليحجم أفكارها الواهمة، مستعرضاً قولها: (أرى شيباً تفرَعَهُ) صورة تقريريّة حسيّة، مؤثرة في شخصه يبوح بها لذويه، ووسيلة من الوسائل لفهم المعنى المراد؛ وذلك لطلب الكف عنه، وهو يفكر بطريقة اخرى الانسحاب المنظم للإنزواء تحت ظلال العزلة بعد سماعه لهذا التصريح المقيت، والمؤثر في كوامن الذات المغرمة بالتواصل، ولعلَّ هذا الاحساس هو ضرب من ضروب الخبرة التي تنتقل إلى الجهاز العصبي عِبْرَ أجهزة الحواس الخمسة التي تتلاقاها، وتترصَدَها، وهي تنقل ما تتركه من آثار جانبية أخرى، وشعور الفرد بنوع هذهِ الإحساسات، وبدرجتها وبعلاقاتها بالأشياء الأخرى يطلقُ عليه بالإدراك الحسي (السيد، ١٩٦٨، ص ١٣٥).

والشاعر المُسن هو أكثر رؤيّة من غيره بقضيته؛ لأنّه يعيش المعاناة ويكابدها بنفسه، ويدرك خطورتها وأبعادها، لذا يبحث عن حلول تؤهله للغلبة على الظروف المحيطة به قدر المستطاع، وأول خطوة يخطوها هو التفكير بالإنسحاب عن المجتمع الذي يعيش فيه إنسحاباً تكتيكياً ليرمم به قضيته على وفق رؤية صائبة تنقله إلى بر الأمان بعيداً عن الإشكالات النفسيّة والاجتماعية، وهو هروب من الواقع المؤلم في الوقت نفسهِ ولاسيما إذا رأى أن الواقع يختلف تماماً عما تهواه إرادته، وترتضيه نفسه، وعبيد بن الأبرص خيرُ مَنْ أطرَّ هذه المعاناة بسياج العزلة، وجسدها على وفق ما يحمله من رؤيّة ووجهة نظر بعيدة نضمن له سلامته بعيداً عن الإرهاصات والصراعات النفسيّة ، لذا يوعز الشاعر باعث عزلته الى ظهور الشيب، ويتهمه عزلته الغواني، اللواتي أرغمنهُ الاعتكاف، وهو يحاول فك أزمته ، وتسليّة نفسيته من الاضطراب والصراع النفسى الذي يراوده، ممتطياً راحلته يجوب البوادي، بحثا عن اجواء نفسيّه بعيدة عن اجواء القلق والاضطراب النفسي على أثر ما حصل له من الغواني، مودعاً إياهن وداعِ ثناءٍ غير إدلال، مستطرداً بالحديث عنهن بعد ما عاد ما ودعْنَ من مودتهن بعد المواثيق كالجاري من الآل، إذ يقول: (ابن حمديس، د.ت، ص ١٠٨)

وقد علا لمتي شيبٌ فودعني مِنْها الغواني وداع الصّارمِ القَالي
وقد أُسلّي همومي حين تَحضُرُني بِحَسْرةٍ كعلاة القيق شملال

ولم يكتف بهذا السرد التأريخي وهو يستعرض ذكريات الماضي مع معشوقته، بعد ان كان يلعبُ بها وهْناً وتلعبهُ، حتى تنصرف، ولم يتناسَ هذا المشهد بل في ديمومة الذكر، معشوقته في مخيّلة الذاكرة تخطر على باله، معترفاً بشيخوخته و زوال شبابه، مغرداً بنشيد العزلة والحزن، وهو يرسم هول المصاب، عزلته وتجافيه، صورة استعارية رائعة حاك خيوطها بمفردتي احتل – يحتل) في عجز البيت الثاني وصدر البيت الثالث، متعجباً من هذا الامر، مستغرباً لهذا الشكل المتباين (بياض الشعر و سواده) .

صورة جميلة تأطرت أبعادها بلغة التضاد، التي جَعَلَتْ من الشاعر أن يرتمى مرغماً بأحضان العزلة، متأقلماً في ظلِّ أجوائها بعيداً عن الاختلاط والتفاعل، صورة تكشف عن حرص الشاعر في الحفاظ على كيانه الشخصي لذا ارتضى بخيار العزلة رَدَّاً للاعتبار، إذ يقول: (ابن حمديس، د.ت، ص ١١١)

قد بتُّ ألْعِبُها وَهْنَا وَتُلْعِبَني ثم انصرفَتْ وهي مِنْي على بالِ
بات الشبابُ فآلى لايُلِمّ بنا واحتلَّ بي من مُلِمَّ الشيب محلالِ
والشيبُ شينٌ لمنْ يحتَلُّ ساحَتَهُ لله دَرُّ سوادِ اللّمة الخالي

وعلى الرغم من تفكير الشعراء المسنين بالعزلة وتجنب المجتمع وعدم الاختلاط به، تبقى افئدتهم تلوح بالحنين الى ذكريات الماضي حيث العزّ والهيبة، والقوة والشموخ، ويبدو أن هذا الشعور تنامى على أثر سلوك خاطئ، صَدَرَ عن أناس تربطهم بهم قرابة أو إنتماء احياناً أو عن اناس قد لا تمت بهم أيّة صلة إلاّ المعيشة والعمل والانتماء القومي في أحايين اخرى ولكن قضيّة الاعتزاز بالأهل والاحبّة على وجه الخصوص جُرْسٌ يَدقَ في عالم الوفاء، وهم يغردون بهوى الوحدة لا العزلة ولكن لكلِّ حادث حديث ولكل حَدَثٍ موقف، ولكل موقف ظرف، ولكلِّ إحساس شعور، ولكلِّ شعور التزام بقيم، تأتي في مقدمتها العزّة والكرامة، دفعَتْ بالمشاعر لمن إهتزَّ لهذا الشعور إلى التفكير بالعزلة على أثر ردود فعل تفجرت عيونها بإنتفاضة عارمة غايتها العزلة والانفراد؛ للإنطواء في أماكن تضمن لهم المجد والسؤددَ، شخصيات محافظة يسجل لها التاريخ بأحرف من نور بعيداً عن القدح والتجريح ، لكي لا يوثقون فيه إلا بما يرفع الشأن ويعززّ المكانة، في مجدٍ مؤثل قد بنوه في رحلة شبابية من العمر توسَمَتْ بالقيم في تاريخ توارثوه من الآباء والاجداد .

وقد جسد لنا حاطب بن مالك الجُلاس النَّهشلي، مضمون ما ذكرناه في حوار قصصي مبتدأً به الذات يصور فيه مجمل معاناته، وهي جزء من معاناة المسنين جميعاً، وبإسلوب يتسم بالهدوء والسكينة مرّةً وبغضب مشبوب بالانفعال مرّةً اخرى، وهو يقارن بين لذته في الشباب وقوته، وبين عجز الشيخوخة وعزلته عن اهله واحبابه، مصوراً حاله و حال ولد النعامة؛ وذلك لاشتراكهما في وجه الشبه من (وهن وضعف) في شكل ومضمون بعد إن كان قوياً صلباً سباقاً لغاية المجد في ماضيه، وإذا به يدبُ كدبيب القرد في حاضره، وهي صورة ثنائية صنعها الموقف من خلال التضاد الذي انفرد بقوته الزمن (الشباب – الشيخوخة) (الماضي – الحاضر) (القوة – الضعف) وهي رسالة تحملُ في ثناياها النصح والارشاد، وضرورة الالتزام بالقيم الاخلاقية والانسانية، لأنهُ هو في ظروف أحوج من غيره إليها، وهو كذلك أحوج إلى المجتمع من مرحلة الشباب ، فجاءت وعظيته للآخرين لكي ينظروا لمن ارتمى في أحضان العزلة على مضض بعين العطف وموضع الرحمة لما يمرون به في مرحله ضعف(الكبتي، ١٩٧٣، ص ٢٤) ولاسيما الذين سَجَلَ تاريخهم بالذكر و الحمد، موضحاً بمكانة قدوته عمرو سليل أبي الجَعْد ذلك الفتى الذي كان سباقاً لفعل الخير، إذ يقول: (السجستاني، ١٩٦١، ص ٢٣)

كأنك ترجو أن تعيش ابن مالك كعيش هُبَلْ لقد سفهْنَ على عَمْدِ
وماذا تُرَجِّى من حياةٍ ذليلةٍ تُعَمِّرُهَا بين الغطارفةِ إلْمُرْدِ
وأنتَ لَقى في البيتِ كالرألِ مدنفٌ وقد كنت سباقاً إلى غاية المَجْد
وللموتُ خيرٌ لإمريءٍ من حياته يَدُبُ دبيباً في المحلةِ كالقردِ
فلو أن شيئاً نالٍ خلداً لناله حليف الندى عمرو سليل أبي الجعْدِ
فتى كان سباقاً إلى كلِّ غايةٍ يبادرُ فتيانَ العشيرةِ للحمدِ

ففي الابيات الشعرية أعلاه تتضع معاناة كبار السن بشكلٍ لافتٍ للنظر من خلال عرض فني يكشف فيه عن سمة الابداع التي يحملها الشاعر و التفوق في الأداء الفني وذلك للتعبير عما يجول في دواخل الذات من ألم وصراع، وهو ينوع في استخدام أدواته اللغوية، البلاغية منها والنحوية (كأنك ترجو) و (تعيش هُبْل) صورة شعرية تحمل سمة التشاؤم لا التفاؤل، وهو يغرد بنشيد الحزن، يشكو أمره الى مَن بيده القدرة أن يعجل بقدره، متمنياً الموت بعزٍّ ورفعة، وكأنه يود أن يقول كفى بالعمر واعظاً، ولا يرجو حياة الذل بل يستفهم بصيغة الانكار في صدر البيت الثاني (ماذا تُرجَيّ) لمثَل هذه الحياة ، وهو في أرذل العمر.

هكذا يُغرد شراء الشيخوخة بنشيد الشكوى وهم يبررون عزلتهم عن الناس على وفق ما يمرون به من ظروف قدرية قد تكالبت عليهم، دفعتهم إلى إرتداء ثوب العزلة والانطواء على مضض.

ويبقى الأصل منبع لكل طيب، وذكر لكلِّ فعل، وفخر لكلِ جميل، وليس ببعيد عن عَدِي بن حاتم الطائي، تأريخه وتاريخ أهله ، مسترسلاً بالحوار بعتاب حاد تارةً، و بالهدوء تارةً أخرى، ويخطاب الأمر اسلوباً إتبعه لكشفِ الحقيقة، وتبرأة الذات من فعل الإساءة، ولا يرتضي كتم الحقيقة بعذر الحياء، ليبين موقفهُ إتجاه قومه من خلال التشبيه (كبعد الارض من جوَّ السماءِ) وهو ينفي عن نفسهِ فكرة التخلي عن أبناءِ جلدته، مشبها نفسهِ بالدَّلْوِ الذي لا ينضب صورة اخرى لكشف عما في دواخل الذات من نوايا الخير، رافضاً لكلِّ دواعي العزلة والانفراد، وهو يغرد بالسلوك الجمعي، إذ يقول: (الكبتي، ١٩٧٣، ص ٢٤)

أجيبوا يا بني ثُعَلَ بني عمرو ولا تكموا الجواب عن الحياءِ
فانّي قد كبرتُ وَرَقَ عظمي وقلَّ اللحْمُ و من بَعْدِ النَّقاءِ
وأصبحتُ الغداةَ أريدُ شيئاً يقيني الارضَ من بردِ الشتاءِ
وطاءً يا بني ثُعَلَ بن عمرو وليس لشيخكم غَيْرُ الوطاءِ
فإنْ ترضوا به فسرورُ راضٍ وإن تأبوا فإني ذو إباءِ
سأتركَ ما أردْتُ كما أردْتَم ورَدَّكَ مِنْ عصاك من العناءِ
لأنّى من مساءَتِكُم بعيدٌ كبَعْدِ الأَرض من جو السماءِ

وإني لا أكون بغير قومي فليسَ الألْوُ إلاّ بالرشاءِ

ومن يتمعن في أبيات الشاعر أعلاه يجد العزلة وبالاً عليه، لذا نجده يقف وقفة الجد في الحوار مع أبناء جلدته الذين جاروا عليه في رحاب عزلته وهو بأمس الحاجة الى منْ يمد له يد العون، متوجهاً بالخطاب الحاد يبحث عن جواب من خلال فعل الأمر المقرون بواو الجماعة(أجيبوا) والمعزز بفعل المضارع المسبوق بلا الناهيّة (لا تكمُوا)، وهو يصور عزلته وفي الوقت نفسه تجافي مَن يعنيه، معلناً بصراحة حاجته لذويه، وهو في حال قد وهن العظم منه، وَرَقَّ جسده، وبحاجه الى مَن يحميه من برد الشتاء، مخاطباً إياهم بلغة الشدّ احياناً، و بلغة المرونة في أحايين اخرى من خلال استخدامه للمصدر النائب عن فعل الأمر(وطاءً) وهي كناية عن التكبر وعدم الشعور بمن إرتمى في احضان كبرته، وهي كذلك رسالة إنسانية تحمل سمة الإباء والترفع على الرغم من أنه في ظرف بأمس الحاجه إلى العون.

ولم يكن أوقعُ على النفوس من قول في غير محله ومن دون حق، فلا بُدَّ أن تكون ردود الفعل بقوة، وبلسانٍ لا يهدأ إلا بالإفصاح، وإظهار الحق، تفنيداً لأقوال الخصم الكاذبة، وهذا ما كابدوه مرداس بن صبيح، متصدياً لهم بالقول الواثق من نفسه، والمعتد بشخصه على الرغم من الظرف القسري الذي يمرُّ فيه من ظروف العزلة عن ذويه ، متحققاً عما حصل إليه من دون ذنب، وذلك لكشف شهادة الزور، ولدفع التهمة عن رقبته، معضداً القول بالشاهد والبرهان، كُبرتهُ وشيخوخته، وتلاعب الاقدار فيه، متوحلاً في طوارق الهموم في غربة لا تطاق فلم يكن بين يديه إلا عصاه التي يَدُبَّ عليها، ولسانه المقذع الشديد الغضب، إذ يقول: (السجستاني، ١٩٦١، ص ٤٦-٤٧)

قوافي قد أتتمني من بعيد فما أدري أزورٌ أم ثباتُ
فإن تكُ كذبةً من قوم سوءٍ فما إنْ تزدهيني المحذراتُ
فإنّي قد حَبْرتُ ورقّ عظمي وأسلمني لدى الدهْر الهناتُ
مرازيء قد تنوبُ وطول عُمْرٍ تئوبُ لها الهموم الطارقاتُ
أدبُّ على العصا لم يبقَ إلاّ لسانُ صارمُ غضبٌ حُتاتُ
فلا يَغْرُرْكُم كبري فإنّي كريمٌ ليس في أمري شتاتُ

ويبقى حوار الشعراء المعمرين مع ذواتهم في فلك العزلة والانطواء يدور، يبثون فيه شكواهم المرّة على أثرِ ما يمرون به من أزمات، ديمومة القلق والصراع النفسي، وهم يتمنطقون بحياةٍ إعتادَتْ لها نفوسهم في مرحلة الشباب حيث القوة والهيبة، والعزّ والشموخ، والمبعث الرئيس لهذه التركة المزمنة، الشيخوخة ومخلفاتها من فقدانٍ لبعض الحواس، وضعف لحواس اخرى، فضلاً عن المتغيرات الاخرى التي أصابَتْ الجوانب العقليّة منها و الفكريّة

والجسدية، حيث كدَّرَتْ حياتهم منها: تعثرُ في نطق، وإشكال في سمع، وضعف في حركة، وإرتخاء لعضلات، وهم يَتَحَسَّسون بنقيصة العمر بشكل لا إرادي فضلاً عن المتغيرات الأخرى التي تبدو بهيكلها الخارجي في المظهر والشكل من تجاعيد لجسد، وغور في عيون، وانحناء في ظهر، وبياض في رأس، وإنَّ هذه الألوان والاشكال هي المظاهر الحسيّة التي تحدثُ توتراً في الأعصاب وحركة المشاعر، إنّها مثيرات حسية يتفاوت تأثيرها في الناس (إسماعيل، ١٩٦٣، ص ٦٧) فبذلك يكون سبباً في قلة تواجدهم في مجتمع يتنكر لمثل هذه المتغيرات غير مؤمنين بتبدل الاحوال من شكل لآخر تبعاً لظروف الزمن، وطبيعة الحياة التي عُرِفَتْ بداياتُها بالصبا والشباب، وخواتيمها بالشيخوخة، متناسين أنَّ لكلِّ بداية نهاية، فمن لا يعتبط يكبر فيشيخ، فتنقطع حياته بالموت.

هكذا اختمرت هذه المعاناة عند الشعراء القدامى حتى فاح عطرها بصريح القول عند ذي الاصبح العدواني، معرجاً برائيته عن عمق الأسى والحزن في وصف دقيق لحاله وهو في سن اليأس من الحياة، وبحديث يخلو من التفاؤل والامل، معترفاً بكبره وعجزه، لذا يدعو ذاته الابتعاد عن الناس إحتراما للذات، معززاً ما يقول بالقرائن وشواهد الإثبات، و بلغة التضاد عجز بعد قوة، وخيبة بعد أمل، إذ يقول: (ابن حمديس، د.ت، ص ٣٣-٣٤)

أصبحتُ شيخاً أرى الشخصين أربعة ... و الشخص شخصين لما مسني الكُبُرُ

ما للكواكب يا دهماءُ قد جعلتْ ... تزور عني وتطوي دوني الحجرُ

قد كنتُ فراج أبواب مغلقة ... ذب الرياد إذا ما خولس النظرُ

لا اسمع الصوت حتى استدير له ... ليلاً و إن هو ناغاني به القمرُ

وكنت أمشي على الرجلين معتدلاً ... فصرتُ أمشي على ما تنبت الشجرُ

إذا قمتُ عجنتُ الأرض متكئاً ... على البراجم حتى يذهبَ النفرُ

ان منظر العكاز لدى جميع الناس يوحي من الآلام الشعور بالكبر؛ لكونه علامة من علامات الضعف والوهن، ومنظرهُ عندهم لم يكنْ بَحَسنٍ أو لطيفٍ ولكن تختلف رؤية الشاعر تماماً عما حوله من حُكم غير مقبول، فهو ينظر إليها نظرة المُعين أو المُساعد، وهي في نظرهِ مَصدرٌ من مصادر القوة والعون لمن ارتمى في أحضان الشيخوخة والكبر، فهي بمثابة وَلَدَه الذي يتكأ عليه بدلاً من أن يتشاءم منها ومنظرها، إذ جعل منها الصديق والصديقة الأوفياء الذين وقفوا معه لتقويمه .

وقد جسد لنا هذه المعاناة ابن عبد بن الطيب، ممتدحاً عصاه التي يستعين بها على سيرة المرتعش، وفي الوقت نفسه هو مدح بصيغة الذَم، فهو يتقدم مستعصياً بعصاه حينما يتأخر، وكأنّه في هذا الحال يهشُ على سنيّه الثمانين التي أودتْ بقواه فأجبرته على العزلة، إذ يقول: (ابن حمديس، د.ت، ص ٥١٦)

ولي عصا عن طريق الذم أحمدُها بها أقدم في تأخيرها قدمي
كأنها وهي في كفي أهش بها على الثمانين حولاً لا على غَنَمي
كأنني قوس رامٍ، وهي لي وترُ أرمي عليها رَميَّ الشيب والهرمِ

هكذا يستعرض الشاعر أفكاره، وهو يلم شتات الحزن الذي أصابه على أثر عزلته، مبيناً فضل عصاه وما قدمته من خدمة جليلة إذْ ملأتْ الفراغ ببديل، اسلوباً أتبعه لكسرِ طوق عزلته التي كان مبعثها تهدم في خلايا، وتقادم في عمر، وهي مقاومة بَدَرَتْ من رجل عنيد ومقاوم يأبى الاستسلام للظروف قدر المستطاع، وبكلِّ السبل المتاحة لديه لمواكبة السير والتجوال في فضاء بيئته بما هو ممكن عصاه، وهو يُلَوْنُ صورهُ الشعرية بالبيان تارة وبالحس تارة اخرى في صدر البيت الثاني (كأنها – وهي في كفي أهشُ بها) ثم يسدل خاتمه نصه بصورة بيانية اخرى من خلال التشبيه بـ (كأن) في صدر البيت الثاني والثالث وهو يشبه ذاته بحال الصياد الذي يرمي صَيدته بالوتر، حيث جعل من الشيب والهرم ميداناً للرمي، وهو يفكر بإنسحاب تكتيكي من مجتمعه الذي يحيطُ فيه لكي يرتدي ثياب العزلة؛ ستراً ووقايةً من كلام يَجْرحُ ووشايَّةً تُقال.

وفي بعض الأحيان تجرُّهم المواقف الى الخوض في ميادينها، وإن كانوا عنها في عداد المبعدين ولكن لكلِّ حدث موقف، ولكلِّ أمر حزم وعزم في جديّةٍ مطلقة، ومع ذلك تبقى المقدرات سيدة الموقف في الساحة، والفيصل النهائي لحسم القضيّة بخلاف ما يهواه المعمرون، والرضوخ لأمر الواقع، الاعتراف بالشيخوخة، والتفاعل مع متغيراتها بإرادة تطمحُ الى العلوِ شأناً ومكانة ولا تقبل إلا هوى العزّة والهيبة، والشموخ والاعتدال وبخلاف ذلك سوف يراهن الذات على العزلة والانفراد للحظوة بكل ما يعزز الطموح ويحقق الارادة وعلى وجه الخصوص أن لا يكون في نهاية العمر في موضع فيه ثلم لكرامة وهدر لعزّ، وقلة في تقدير .

وخير من جَسَدَ هذه المعاني(سمعان بن هبيرة) وهو ينقل لنا في أدق التفاصيل واقعه وما جنى عليه قدره المحتوم مما دفعه إلى التأسف على الدهر وتقلبات الازمان التي غيرت مجرى حياته الى واقع مأساوي لا يحمد عقباه، وهو يقارن بين شبابه وكِبْرَه، قوته وإنكساره بعد أن كان يخوض غمار المواقف على مضض وبكلِّ رجولةٍ وإقتدار، يأمر وينهي، يقود ولا يقاد ، لذا إرتضى لنفسه أن يكون تحت ظلال العزلة القسرية شاء أم أبى، مُسَير لا مخير، مسلوب الإرادة عنصر غير فعال، إذ يقول: (السجستاني، ١٩٦١، ص ٦٣)

الا رُبَّ أمْرٍ مُعْضِلٍ قد رَكَبْتُهُ بثنيَّ فِعْل التيجان المضلل
فأقشعَ عنيّ لم يضرني ورُبَّما أجرَّ الفتى ما كان عنه بمعزلِ
وقد كنتُ ذا بأو على الناسِ مرَّةً إذا جئتَ أمراً جئْتُهُ الدهر من عَلِ
فلما رماني الدَّهر صِرْتُ رزيّةً لكلِّ ضعيف الركن أكشف أعزلِ

ولقد لَخَّصَ لنا الشاعر نفسه مجمل معاناته عبر حوار قصصي مسترسلاً فيه بالحديث عن شكواه المرّة، وهو يغرد بلسان الحزن لشيبٍ قد علا رأسه، وقلل عزيمته، وكدَّرَ أجواءه لما تركه من أثر سلبي أجبرهُ على الاعتكاف والعزلة، والذي أخذهُ إلى متاهات الأفكار، وفي الحقيقة أنَّ الفردية بهذا المعنى تشير إلى شيء من الرفض أمام الواقع، إنها صفة للمواقف المتميزة التي ليس لها نضير أو ما شابه ذلك؛ لأنّه العنصر الرئيس في هذا الوهم، المتعارف عليه أن الفرديّة تبرز المرء عندما يكون في موقف يقتضي الشعور بكيانه الذاتي، ويحفزه إلى بذل الجهد لكي يجابه الخطر المرتقب بكلِّ قواه الحيويّة للدفاع عن بقائه (إسماعيل، د.ت، ج١، ص ٢٧٣) رافضاً الاستسلام لظروفه المحيطة وهي محاولة لدرءِ الخطر، والدفاع عن النفسِ حق مشروع، وفي الوقت نفسه هو الخيار الافضل لفكِ أزمته قدر المستطاع، وعلى الرغم من مقاومته تبقى زمام الأمور تحت سيطرة القدر، لذا ينحدر الشاعر منكسراً أمامه، وأمام تقادم العمر، ومظاهر الشيخوخة من انحناء لظهر، وقصر في خطوات بعد ما كان قوياً صنديداً، متوجها نحو حليلته بالخطاب الحاد وبصيغة الانكار (لا تهزئى) رسالة تحمل سمة النصح والارشاد؛ للتحوط من غدر الزمان الذي يهدد الجميع، إذ يقول: (السجستاني، ١٩٦١، ص ٦٥)

وهادئةٍ من شيبتى وَتَحَنُّنى	وطول قعودي بالوصيد أفكرُ
تقولُ فنى سمعان بعد اعتداله	و بعد سواد الرأس ما فالرأس أزعرُ
فقلتُ لها لا تهزئي إن قَصْرَكِ الـ	منايا ،وريب الدهر بالمرءِ يغدرُ
فكم من صحيح عاشَ دهراً بنعمةٍ	فحلَّ به بَوْمٌ اغرَّ
فصارَ لقىً في البيت لا يبرح الفِنا	رَذيَّاً عليه كآبةٌ وتوقَّرُ
وقد كان مِدْلاجاً إلى المجدِ مُتعباً	إليه المطايا عُمْرَهُ ليس يفتُرُ
فلما ترامَتْهُ المنايا وريْبُها	تقوَّسَ منه الظهرُ فالخطو مُقصِرُ

ويستمرُ جِرْسُ الحزنِ يدقُ موسيقاه في رؤوس أينعَتْ بفعل الزمن وحان قطافها، وخَلَّخَلَتْ نفوسها بإيقاع القلق، وبنظرة لا تخلو من التشاؤم لغد، وماذا سيحصل لهم ؟ سؤال يطرحُ نفسه للإجابة، بحثاً عن بديل يُطْمَعُ فيه إلى حياة هادئة تطوف بخيال وهمي، الحلم بهوى الحرية من دون خدشٍ لشعور أو ثلمٍ لكبرياء؛ لكون النفوس الأبية لا تنسلخ عمّا في دواخلها من شعور مهما تلاعب الزمن بمقدرات الجسد الذي يحويها، ((فليسَتْ الكبرياءُ إلا محركاً، ووسيلة لتَحْمل المهمة الساحقة بإبقاء الوعي الخارجي اليومي ..... فليسَ التمرد هو تمرد الكبرياء، بل هو تمرد الوعي الإنساني بأشدّ ما في الإنسانية من صدق)) (دلويه، ١٩٥٥، ص ١٩) لذا لم يبق المعمرون مكتوفي الأيدي دون مغالبة مع من آمن بهذا التغيير القسري، وهُنا تُمتحن النفوس وهي تُغردُ بسمة الإعتصام الطافح لمعالجة الأمر بفكرة التشبث بالحياة بأيّةِ وسيلةٍ كانت، في محط الرهان وإن كانت الإرادة مسلوبة القوى .

وهذا ما كابده عروة بن الورد، وذاق مرارته مما دفعه إلى سرد قصصه المثقلة بالمعاناة بعد أن غدرَ به الزمن، وجعله في طي النسيان يدبُ على العصا، مستنكراً لمثلِ هذا الحال الذي جعله يترنح تحت مطرقة الشماتة والتشفي من قبل الخصم فضلاً عن سلوك الأهل وشعورهم السلبي إتجاهه، وهو يسترسل معاناته على مضض؛ لكونه مرتهنٌ في البيت لا يبرح قعره، وهي دلالة رمزية تلوح بالأفق عجزه، وعدم مقدرته مواصلة الحياة بالشكل الذي يروق له، ويطمحُ فيه، ولا يكتفي بذلك بل يغرد بلسان التشبيه؛ ليكشف على ملأ الناس حاله وما هو عليه من إنحناء في ظهر أشبه بفراخ النعامة في تداركه الخطو، صورة بيانيّة لكشف حقيقة واقعه المتباين بين القوة والضعف، مستسلماً لواقعه بعد أن إرتمى في احضان القدر، يلوذُ بمساعدة الآخرين، إذ يقول: (ابن حمديس، د.ت، ص ١١٤)

أليسَ ورائي أن أدبَّ على العصا فيشمتُ أعدائي ويسأمني أهلي
رهينةَ قعر البيت كُلَّ عشيّةٍ يُطيف بي الولدان أهدجُ كالرألِ

وتكرر المعاناة نفسها عند دريد بن الصمّة الجُشمي، وهو يُغردُ بلسان الحزن بشكلِ خفي تارة و ظاهرٍ على ملأ الناس تارة أخرى تبعاً للظروف التي أحاطْتْ به من متغيرات الشكل والمضمون، و من البديهي أنَّ العقلَ الإنسانيّ ميال بطبيعته إلى معرفة ما يحيط به من وجود ثابت أو متغير، راغباً إيقاف التسلسل اللانهائي لأسباب، والمسببات عند مبدأ أول (علة أولى) يشبعُ فضوله نحو فهم هذا الوجود بما فيه من تغيير(الدليمي، ٢٠١٩، ص ٢٥) متحدثاً و بلسانٍ منكسر منهار، وهو ينثر أحزانه عِبرَ شاشةٍ إزدحمتْ بالصور في صدر البيت الأول وعجزه (رأسي كالثغامة – أحدبُ كالقردِ) وهو يروي قصته المأساوية بوصفه رهينة قعر البيت كالطفل يصعدُ إلى الفراش أو ينزل منه لا فعلَ له غير ذلك، بعد إن كان يزهو بالشباب والقوة، وبالشعرِ الكثيف الذي يعلو بسواد اللون، إذ يقول: (ابن حمديس، د.ت، ص ٧٨)

إن يكُ رأسي كالثغَامَةِ نِسْلُه يُطيفُ بى الولدان أحدَبُ كالقردِ
رَهينة قَعْر البيتِ كُلَّ عَشيّةٍ كأنَيّ أردي أَنْ أُصَوَّبَ فِي مَهْدِ
فمن بعد فَضْلٍ من شبابٍ وقوَّةٍ ورأْسٍ أثيثٍ حالكِ اللّون مُسْوَدّ

وتبقى الآهات والعنات تلعلعُ في صدور الشعراء المعمرين ولا سيما الذين ناهزوا الثمانين من العمر أو تجاوزوه، مما يدفعهم هذا الشعور إلى التفكير بنوائب الدهر، وتلاعب الأقدار، ولما يحصل لحالهم ضعفاً بعد قوة، ووهناً بعد همة فتنقلب حياتهم على عقب، فيهتزُ كيانهم وتتكدر حياتهم، وهم يناشدون الزمن بلغة العتاب الحاد على أثر ما اكتوتْ قلوبَهم بهوى الغربة، وبقلق العزلة، وهذا ما أكده الله عزَّ وجل في محكم كتابه بقوله: ((اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ

الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ)) (سورة الروم: ٥٤) وإنّ من طبيعة الانسان حب البقاء لذا نجدهُ ميالاً إلى التصدي ومقاومة الظروف المحيطة به قدر المستطاع طمعاً بحياة رغيدة بعيدة عَنْ مكدراتها حتى يشاء اللهُ بقدرهِ المحتوم .

وقد لَخَّصَ لنا زهير بن أبي سُلمى مجمل هذه الأفكار، مستعرضاً فيها مظاهر قلقه وسئمه من الحياة، وهو في سن الثمانين من العمر نابع من كثرة العناء والشقاء، ولما تمرُّ به نفسيته من جفاء وغلظة وشدّة أمر، وهذا ما كابده لما إلتمسهُ من المشاهدة والرؤية بما يفعلهُ الزمن الغابر الغادر الذي لا يُصَدُّ، ولا يُرَدُّ بل يدفع المنايا إلى التخبط بشكلٍ عشوائي يخلو من التسديد المسبق للرمي وبلا تمعن، فلا تنظر إلى الصغير بعين العطف لصغره، ولا إلى الكبير بعين الرحمة لكبرهِ، ولا تعطي للوسطيّة نصيبها غير حُكمِ القدر بل ترمي سهامها فمن تَصِبْهُ تلقيهِ حتفَه؛ ومن تخطِئْهُ يحظى بمديد العمر حتى يَهْرمَ ، وهو يحاور الذات تارةً، ما ويفصحُ تارةً اخرى، وهو يعلمُ ما يدور بأمره في دنياه، وهو على قيد الحياة ولكنه لا يدري بما سيحصل له ليوم غد، مؤمناً بما سيكتبه القدر، إذ يقول: (ابن حمديس، د.ت، ص ٢٥)

سئمْتُ تكاليفَ الحياةِ، ومَنْ يعيشْ ثمانينَ حولاً، لا أبالكَ، يسأمِ
رأيْتُ المنايا خبْطَ عشواء، مَنْ تُصِبْ تمتْهُ، ومن يخطئ يُعمَّره، فيهرمِ
وأعلمُ عِلمُ اليوم، والأمسِ، قبلَهُ ولكنَّني، عن علمِ ما في غدٍ، عَمِي

هكذا عَبَّرَ الشعراءُ المسنون عن معاناتهم وعلى مضضٍ من غدرِ الزمان، وتقلباته، وما جُنيَتْ لأجسادِهم من متغيرات تهشم في عظام، وتهدم في خلايا، وإنكسار لنفوس، فلم يبقَ منها إلاّ جلدٌ بالي ووهن عظم ولكن تبقى النفوسُ الأبيّة أصواتاً تلعلع بمفردة التصدي لهذا السيل المنحدر بسهام الكِبَر على الرغم مما في الدواخل من إنشودة الغربة والانكسار، وهذا يتناقض وما يطمحون اليه التربع على ذرى المجد، وفي قلوبهم غضاضة لما وقع عليهم من حيف القدر، ومؤثراته النفسية منها على وجه الخصوص .

الخاتمة ونتائج البحث

من خلال القراءة والبحث والمتابعة والتحليل لنماذج من نصوص شعر قلق الشيخوخة قبل الاسلام، استنتجنا أنَّ هذا الموضوع يتمحور في ظاهرتين رئيستين إحداهما تتعلق بنفسية المسن، بشخصه والاخرى إجتماعية روابطها وثيقة بالمجتمع الذي ترعرع فيه، وهو في حالة من القلق الذي يفتقر فيه إلى الاستقرار النفسي، والذي دفَعَهُ إلى البوح عما في دواخل الذات من إرباك مبعثهُ الكبر فضلاً عن إهمال الآخرين له، وعدم الاهتمام به ولا سيما من الذين تربطهم به صلة أو أفنى حياته من أجلهم، وهو بأمس الحاجة إليهم في تلك الظروف القاهرة لما يعانيه من عجز ووهن ، وفقدان لقوى (جسدية ونفسية ونسيان) فلم يبق في مخيلته الا شتات لذكريات عز الشباب، وهو يتحسر على ماضيه التليد، وإرادته المسلوبة التي جعلته أن يكون طبي النسيان فبعد الأمرة والقيادة والسيادة، ترجي وتوسل وإستعطاف، وطلب عون بوسيلة الإنكسار والعجز والهزيمة مع ندم في ظرف لا ينفع فيه الندم ؛

لأن الزمان يمضي ولا يلتفت إلى الوراء، وتلك سنة الله في خلقه . وفي نهاية مطاف البحث توصلنا إلى النتائج الآتية:-

١ – إحساس المسنين بغياب الشعور الإنساني إتجاه من التوت نفوسهم بنيران الحزن، وارتمت في أحضان القلق النفسي من جراء الصراع مع الذات المتعطشة لهوى العز والكرامة والهيبة و الشموخ .

٢ – شعور المسنين بنعم الخالق إتجاه المخلوق وإيمانهم بما وَهَبَهُم من قوة وجمال في شكل في مقتبل أعمارهم فضلاً عن النعم الأخرى، نعم الحواس الخمس (السمع واللمس، والبصر والذوق والشم) وَوَحْشَتَهُ عند غيابها بعد دخوله المرحلة الأخيرة من العمر .

٣ –رغبة المسنين التفاعل مع المحيط الذي يعيشون فيه من طرح لفكرة ، ومشاركة في حوار؛ لكونهم أصحاب رأي ، وحكمة ، وفلسفة في تعقل، نضجت من ملخص تجارب ، لذا لا يرتضون العزلة عن ذويهم مهما أحاطت بهم من ظروف، وما ألمت بهم من أزمات كان مبعثها الكبر.

٤ – إن ما يحز في نفوسهم إحتياجهم للغير بعد ما فقدوا صلاحياتهم، ومقوماتهم الشخصية التي تؤهلهم الرد على كل سلوك خاطئ، ولا يمكن أن تتحقق الإرادة إلا بوجود القوة ، فبالقوة عز ووجود و بخلاف ذلك إذلال وعدم، هكذا إرتضوا لقبول الواقع المر على مضض، ولا يستطيعوا الرد على مَنْ تبرأ منهم إلا بلسان الحق في شكوى مرّة، إسلوباً إعلامياً لا يخلو من التوبيخ من أصحاب القوة والشأن، وهي محاولات لكف الأذى، وعدم السكوت على مثل هذا الخلل الإنساني المعيب الذي يتنافى والقيم الانسانية النبيلة .

قائمة المراجع :

- **القرآن الكريم**

❖ إسماعيل، عزالدين. (١٩٦٣). التفسير النفسي للأدب. دار المعارف.

❖ البهي السيد، فؤاد. (١٩٦٨). الأسس الفنية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة (الطبعة ٢). دار الفكر العربي.

❖ السجستاني، أبو حاتم سهيل بن عثمان. (١٩٦١). المعمرون والوصايا (تحقيق: عبد المنعم عامر). منشورات دار إحياء الكتب العربية.

❖ الشنتمري، الأعلم. (١٩٧٠). شعر زهير بن أبي سلمى (تحقيق: فخري الدين قباوة). ط١. منشورات الآفاق الجديدة. بيروت.

❖ العدواني، عبد الوهاب محمد علي، & الدليمي، محمد نايف. (١٩٧٣). ديوان ذي الأصبع العدواني (جمع وتحقيق). مطبعة الجمهورية، دار قتيبة.

❖ القيسي، نوري حمودي. (١٩٧٠). ديوان الأسود بن يعفر (سلسلة كتب التراث ١٥). وزارة الثقافة والإعلام، مديرية الثقافة العامة، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة. مطبعة الجمهورية.

❖ الكبتي، محمد حسن الشيخ علي. (١٩٧٣). الشيب والشباب في الأدب العربي. مطبعة الآداب. النجف الأشرف.

❖ الملوحي، عبد المعين. (١٩٦٦). ديوان عروة بن الورد (شرح: ابن السكيت). مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم.

❖ المؤلفات الكاملة لصدقي إسماعيل (ج١). مطابع وزارة الثقافة.

❖ النجدي، عبد الرحمن. (د.ت). ديوان ابن حمديس (صححه وقدم له: إحسان عباس). دار صادر. بيروت.

❖ بدوي، عبد الرحمن. (١٩٦٣). الزمان الوجودي. دار الفكر العربي.

❖ حمد الدليمي، حامد حمزة. (٢٠١٩). الحوار العقلاني في الفلسفة اليونانية (مراجعة: طالب محيبس حسن الوائلي). ط١. دمشق.

❖ دلويه، روبير. (١٩٥٥). كامو والتمرد (قضايا الفكر المعاصر رقم ٢) (ترجمة: سهيل إدريس). ط١. دار العلم للملايين. بيروت.

❖ عبد الرسول، عمر. (١٩٨٠). ديوان دريد بن الصمة (تحقيق). دار المعارف

Bibliography of Arabic References (Translated to English)

- Ismail, A. (1963). The psychological interpretation of literature. Dar Al-Ma'arif.
- Al-Bahi Al-Sayyid, F. (1968). The artistic foundations of growth from childhood to old age (2nd ed.). Dar Al-Fikr Al-Arabi.
- Al-Sijistani, Abu Hatim Suhail bin Othman. (1961). The long-lived and their bequests (Ed. Abdul Munim Amer). Dar Iḥyā' Al-Kutub Al-‘Arabīyah.
- Al-Shantamari, Al-‘Alam. (1970). The poetry of Zuhayr bin Abi Sulma (Ed. Fakhri Al-Din Qabawah). (1st ed.). Al-Afaq Al-Jadidah Publications, Beirut.
- Al-‘Adwani, Abdul Wahab Mohammad Ali, & Al-Dalimi, Mohammad Naif. (1973). The diwan of Dhī al-‘Usba al-‘Adwani (Compilation and Ed.). Al-Jumhuriyah Press, Dar Qutaybah.
- Al-Qaisi, Nuri Hamudi. (1970). The diwan of Al-Aswad bin Ya‘far (Books of Heritage Series 15). Ministry of Culture and Media, General Directorate of Public Culture, Public Press and Printing House. Al-Jumhuriyah Printing.
- Al-Kubti, Mohammad Hassan Al-Sheikh Ali. (1973). Gray hair and youth in Arabic literature. Al-Adab Press, Najaf Ashraf.
- Al-Malouhi, Abdul Moneim. (1966). The diwan of ‘Urwah bin al-Ward (Explanation by Ibn al-Sikait). Publications of the Directorate of Reviving Ancient Heritage.
- The complete works of Sadiq Ismail (Vol. 1). Ministry of Culture Printing House.
- Al-Najdi, Abdul Rahman. (n.d.). The diwan of Ibn Hamdis (Ed. and Introduction by Ihsan Abbas). Dar Sader, Beirut.
- Badawi, Abdul Rahman. (1963). Existential time. Dar Al-Fikr Al-Arabi.
- Hamad Al-Dalimi, Hamed Hamza. (2019). Rational dialogue in Greek philosophy (Ed. Talib Mhaybes Hassan Al-Waeli). (1st ed.). Damascus.
- Dalwi, Robert. (1955). Camus and rebellion (Contemporary Thought Issues No. 2) (Trans. Suhail Idris). (1st ed.). Dar Al-‘Ilm Lil-Malayin, Beirut.
- Abdul Rasul, Omar. (1980). The diwan of Duraid bin al-Summa (Ed.). Dar Al-Ma’arif.